الباب الثاني: تعليقات على منهج الرسالة

القارئ المتمعن للرسالة يلاحظ عدة ملاحظات على منهج الرسالة حرفته عن الحياد والموضوعية، نذكر منها:

1- الملاحظة الأولى: مخالفة عنوان الرسالة لموضوعها.

فعنوانها (ترشيد العمل الجهادي) يدعو للتساؤل العمل الجهادي مع من؟ وضد من؟ فإذا بحثنا في الموضوع وجدنا أن صاحبها –كما سنرى خلال الرسالة وفي آخرها- يقيد فعلياً كل عمل جهادي داخل مصر وخارجها وضد الحكام الخارجين عن الشريعة وضد الأمريكان واليهود، لأننا –كما يزعم- مشللون عجزة كسيحون مساكين مستضعفون..إلخ. فأي عمل جهادي يريد أن يرشده؟ إذن فكان عليه لكي يكون العنوان صادقاً ومعبراً عن موضوع الكتاب أن يسميه إلغاء أو تعجيز أو إيقاف العمل الجهادي. فالكتاب أعطي له عنوان مخالف لموضوعه، لكي يخفف من وقع العنوان على السامع. وإلا فالكتاب في الحقيقة مكتوب بروح وزارة الداخلية، ويهدف بوضوح -بلغة الداخلية- إلى عدم (تعكير صفو الأمن).

2- الملاحظة الثانية: الرسالة قفزت مباشرة لما تزعمه من أخطاء في العمل الجهادي، دون أن تشرح الواقع الذي انطلق العمل الجهادي لتغييره.

فقفزت للأخطاء المزعومة للعلاج، دون أن تمر على الأسباب ثم تشخيص الواقع ثم العلاج، وكان يجب على

الكاتب أن يتعرض لكل ذلك، ثم بعد ذلك يمكنه أن يتحدث عن الأخطاء المزعومة أثناء العلاج.

ولهذا فإن منهج الرسالة غير متكامل ومبتسر.

ولو ضربنا مثالاً من الطب لذلك لقلنا، لو افترضنا أن كاتباً أراد أن يكتب عن تخصص في الطب كالأمراض الباطنه أو الجراحة، فلا بد له عند التعرض لكل مرض معين مثل الملاريا أو التهاب الزائدة الدودية، أن يذكر أولاً سبب المرض، ثم نسب انتشاره في الأمكنة وبين الأعمار المختلفة والذكور والأناث، ثم يتطرق للتغيرات التي يحدثها المرض على أجهزة الجسم، ثم بعد هذه المقدمة النظرية، يتطرق للجانب العملي أو السريري فيكتب عن التشخيص بعناصره المختلفة ثم العلاج بخطوطه المختلفة من عقاقير وعمليات ووقاية، ثم يجوز له بعد ذلك أن يتحدث عن أخطاء الأطباء في تقديم العلاج أو إجراء الجراحات.

أما أن يقفز مباشرة بعد ذكر العنوان بأسطر –دون التطرق لشيء مما ذكرناه- إلى ما ينسبه -بزعمه- للأطباء من أخطاء، فهذا كاتب لا تقبل كتابته عند أهل الطب.

3- الملاحظة الثالثة: أن الرسالة تركت الأهم وانشغلت -بما تظنه- المهم. فتركت جرائم الصليبيين وعملائهم، وتركت تحريض الأمة على قتالهم والتصدي لهم، وانشغلت بما تزعمه أخطاء المجاهدين.

وهذا أشبه بوباء نزل بمدينة يختطف أرواح أبنائها في سرعة كالعاصفة، فبدلاً من أن يهب العقلاء وأهل الحكمة لتوعية الناس ضد الوباء ودعوتهم للعلاج وحشد الأطباء وجمع الأدوية وتجهيز المشافي وجمع الأموال واتخاذ إجراءات الوقاية. إذا بمتنطع يقوم وسط الناس يحذرهم من أخطاء الأطباء، ويدعوهم للصبر وترك العلاج لأنهم عاجزون عنه.

4- الملاحظة الرابعة: أنها لم تتجاهل وصف الواقع وتشخيصه فقط، بل تجاهلت أيضاً علاجه، فلم تقدم بديلاً معقولاً للعلاج، فالخيارات الستة التي قدمتها (1- الهجرة. 2- العزلة. 3- العفو. 4- الإعراض. 5- الصبر. 6- كتمان الإيمان)

(ذكر الدعوة أيضا)لا تقدم حلاً عملياً، فملايين الشباب الملتزم بالإسلام والمتحرق لخدمته كيف يمكن أن يهاجروا وإلى أين؟ وكيف يمكن أن يعتزلوا؟ وكيف يمكن أن يكتموا إيمانهم؟ كل هذا في مواجهة أحداث عظام تعصف بالعالم الإسلامي عصفاً، وفي مواجهة موجة من الفساد العارم المركب، ثم يزيد الكاتب من تعقيد الحل فيضيف إليه اليأس من نجاح أي حركة إسلامية أو شعبية في مصر من النجاح، لأن "الحركات الشعبية ومنها الإسلامية لم تغير النظام في مصر على مدى التاريخ" كما يقول. أي حل من العجز الذي يعسر تطبيقه مع يأس من النجاح.

فإذا أضفت لهذا أن الكاتب قد وضع قيوداً للقيام بالجهاد لو طبقناها على أي ميدان من ميادين الجهاد لأجهزت على جهاده، كما سأبين، ثم لم يقترح الكاتب أي صورة من صورة المعارضة والمدافعة السلمية. إذن إلى أين تقودنا الوثيقة؟ ولصالح من؟

5- الملاحظة الخامسة: أنها ألقت باتهامات على المجاهدين دون دليل ولا برهان، ولم تذكر ما هي مصادرها فيما نسبته للمجاهدين، بل تجاهلت شهادات المجاهدين، وأغلبهم عدول بفضل الله، بشهادة الرسالة نفسها. حيث يقول كاتبها أو كاتبوها: "وهذا كله مع تقديرنا وإقرارنا بأن الإخوة المجاهدين في كل مكان هم في الجملة أصحاب قضية نبيلة وحملة رسالة سامية، وليس صحيحًا أنهم طلاب منافع دنيوية بل أن كثيرًا منهم يضحون بالنفس والنفيس من أجل إعزاز الإسلام والمسلمين".

6- الملاحظة السادسة: أنها لم تلتزم المنهج العلمي ولا الأمانة العلمية في عرض الآراء الفقهية. ففي مسألة الأمان لم تنقل قول الشوكاني، في التترس نقلت قول الغزالي وتركت قول الجمهور. وقال كاتبها بأنه سيسمي غير المقاتلين مدنيين جرياً على العرف. وطبعاً كانت الطامة في عدم إسقاطه لشرط إذن الوالدين والدائن في الجهاد العيني.

7- الملاحظة السابعة: الرسالة غير متوازنة. ففي الوقت الذي ترمي المجاهدين بأخطاء دون دليل، تتغاضى تماماً وتتعامى عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون وعملاؤهم من الحكومات الخارجة عن الشريعة ضد الإسلام والمسلمين.

8- الملاحظة الثامنة: لم تلتزم الوثيقة بالأمانة في السرد التاريخي في سردها لعمليات جماعة الجهاد. وإنما قدمت الرواية الأمنية لما حدث.

9- الملاحظة التاسعة: الرسالة متناقضة. صاحبها يقول أنا لست مفتٍ، ولكنه ملأها بقوله إن هذا جائز وهذا غير جائز وهذا واجب وهذا حرام.

10- الملاحظة العاشرة: الرسالة امتلأت بالمسلمات غير المسلمة، التي انطلق منها الكاتب، ولم يكلف نفسه عبء إثباتها. مثل إن الصدام مع الحكومات أتى بضرر عظيم، ومثل إن حال الجماعات الإسلامية يدور بين العجز والاستضعاف.

11- الملاحظة الحادية عشرة. الرسالة حوت إطلاقات دون تقييدها بقيودها الشرعية. مثل قاعدة (المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً).

12- الملاحظة الثانية عشرة. كاتب الرسالة تعمد إخفاء مسائل مهمة تتعلق تعلقاً لا ينفك بموضوع الرسالة ذكرها من قبل في كتابيه العمدة والجامع، دون أن يذكر هل غيرها أو لم يغيرها. بل لم يكلف نفسه حتى توضيح الآراء التي في العمدة التي تراجع عنها في الجامع. مع أنه أقر بأن كتابيه قد فهما خطأ، وأنه يكتب رسالته هذه لينفي عنهما الفهم الخطأ، ثم لم يذكر لنا هل لا زال متمسكاً بكل ما قاله فيهما أم تراجع عن بعضها؟

أ- فمثلاً الكاتب في كتاب الجامع يعتبر أن حكام بلاد المسلمين معظمهم مرتدون خارجون عن الشريعة، ويعتبر أن أعوانهم كالشرطة والجيش والأمن والقضاة والصحفيين الرسميين والعلماء الرسميين كفار على التعيين، بل يعتبر أن من لم يكفرهم فرداً فرداً كافر، لأنه خالف إجماع الصحابة

القطعي في زعمه. فكفر حتى إخوانه المجاهدين المقاتلين لتلك الحكومات، إذا لم يلتزموا برأيه فيها. فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي.

وهذا القول (أي تكفير من لم يكفر الطوائف المذكورة فردا فردا) قد رد عليه بقوة فضيلة الشيخ أبي يحيى الليبي حفظه الله، في كتابه الأصولي القيم (نظرات في الإجماع القطعي).

ب- ومثلاً يعتبر الكاتب أن كل من دخل البرلمان أو أدلى بصوته في الانتخابات كافر، ولا يشفع له حسن نيته في أنه أراد بذلك نصرة الإسلام, فهل لا زال على هذا الرأي؟

ج- ومثلاً يعتبر الكاتب في كتابه (الجامع) أن كل من حمل السلاح ضد الحكومات المرتدة قبل نشر الدعوة لا بر عنده ولا تقوى. حيث يقول:

"فهذه بعض صور التعجل، الذي هو سبب الحرمان، وقال عمر بن الخطاب (إن الحرب لايُصلحها إلا الرجل المكيث) أي المتأني. وقال تعالى (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها) البقرة 189، فكل شيء -ومنه التغيير الإسلامي- له بابه الذي يجب أن يُؤتى منه، أما تسلّق الأسوار -بانتهاج الديمقراطية أو بالاجتماع على غير منهج أو بالتعجل في التأليف أو يتعجل الصدام- فليس من البر وليس من التقوى ولايثمر إلا الحرمان والندم"[1].

فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟

د- ومثلاً يعتبر الكاتب أن الجماعة الإسلامية المصرية من غلاة المرجئة. فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟

13- الملاحظة الثالثة عشرة. الكاتب تعمد إخفاء بعض الأحكام الشرعية والسكوت عنها، فعندما زعم عجز المسلمين والجماعات عن الجهاد. لم يذكر من البدائل التي يطرحها؛ الإعداد للجهاد (بالرغم أنه ذكر ذلك في العمدة نقلا

---

[1] الجامع في طلب العلم الشريف ج: 2 ص: 1022.

عن إبن تيمية رحمه الله)، ولا الصدع بالحق في وجه الظالم. مع أنها من واجبات الأنبياء وأتباعهم.

14- الملاحظة الرابعة عشرة. أن كاتب الرسالة يستخدم أسلوب التحذير المتكرر دون أن ينصف المجاهدين، فيتوهم القارئ أن هذه الأخطاء أكيدة فيهم. فيحذر ممن يفتي في الدماء وهو لا يفقه مسألة في الطهارة، وممن يرتكب حماقة ثم يبحث لها عن تبرير، وممن يأخذ العلم من كتب السلف وهو غير مؤهل. ثم يسكت عن النشاط العلمي للمجاهدين. فيتصور السامع أنهم مجموعة من الجهلة الحمقى المبررين.

وهذا مثال من ينصح غيره، فيقول له: لا تسرق، ولاتزن، ولا تكذب، فيقول له: أنا لا أسرق، ولا أزني ولا أكذب. فيرد عليه: أنا أحذرك فلماذا تغضب؟ فربما يظن السامع أن المنصوح قد تلبس بسرقة أو زني أو أو كذب. وهذا أمر تكرر من الكاتب مرات عديدة.

15- الملاحظة الخامسة عشرة: أن الكاتب نزل في أسلوب كتابته إلى مستوى السب والشتم والتجريح الشخصي بالزور والافتراء. فمثلاً يتكلم عن الذين فروا عن نسائهم وعيالهم، وعن الجهلة الأغبياء، وعن الذين أرسلوا أبناءهم لملاذ آمن وتركوا غيرهم للسجن والقتل، وعن العملاء والمرتزقة. وهذا مستوً لا نستطيع أن نجاريه فيه.

هذا مستوً يُعرف عن ضباط المباحث، ولا يُعرف عن العلماء المحققين، ناهيك أن يعرف عمن يزعمون أنهم يسعون في الترشيد. فما بالك إذا كان المراد ترشيدهم هم المجاهدون؟ الذين أثنى عليهم الكاتبون للوثيقة المذكورة. فهل انتقل له هذا الأسلوب من العلاقة التي نشأت بين الكاتب وأولئك الضباط، والذي كان هذا الكتاب هو أحد ثمراتها؟ فلا شك أنهم أسعد الناس بهذا الكتاب، ولا شك أن كتابة هذا الكتاب ونشره وتوزيعه وإكراه الناس على قبوله بالترغيب والترهيب، ثم الدوران بصاحبه على السجون ليروج له، لا شك أن كل ذلك قد أوجد نوعاً من العلاقة الودية بين الطرفين. والشاعر يقول:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

16- الملاحظة السادسة عشرة: يلاحظ من هذا الكتاب ومن كتاب (الجامع) من قبله أن الكاتب يعاني من تناقض شديد. وإن كان ذلك التناقض قد بدأ في كتاب الجامع، لكنه بلغ ذروته في هذه الوثيقة، فتجد الكاتب شديد الوطأة على المجاهدين بينما تجده متسامحاً جداً مع المجرمين يدعو للتعامل معهم بالحسنى والصبر والعفو والتقية. وتجد الكاتب يحمل المجاهدين كل الأوزار ويعتبرهم سبب المصائب، بينما لا ينطق بكلمة عن أكابر المجرمين الذين يحيطون به.

ومن الأمثلة الصارخة على ذلك موقفه من شهيد الإسلام -كما نحسبه- الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، فالكاتب في كتابه (الجامع) يعتبر أن الكثير من علماء الجماعات الإسلامية أولى بالجهاد من حكامهم، وذلك لأنهم لا يقبلون بحكم الشرع إذا خرج عليهم وليس لهم،

ولم يذكر طبعاً أن هذا العالم هو شهيد الإسلام الشيخ عبد الله عزام رحمه الله (وقصة هذا الكلام معروفة لنا وإطلاقاته هذه غير صحيحة). ثم كرر الكاتب نفس الرأي تقريباً في هذه الوثيقة، وأضاف في وصف أولئك العلماء بعض الآيات التي ذكرت صفات اليهود!! وسأشير لهذا الأمر تفصيلاً في موضعه إن شاء الله.

وبهذا كتبت الرسالة بمنهج مبتسر غير متوازن غير متكامل يحاول أن يوهم السامع بإدانة المجاهدين دون أن تكلف الرسالة نفسها عبء تقديم دليل الإدانة، بل وانحدر كاتبها لأسلوب لا يليق بالبحث العلمي.